

## تربيـة الأطـفال.. مـُتعـة



حينما يُطرح موضوع التربية يتحدث البعض عن أولادهم وكأنهم مصائب تتمشى على الأرض، ويوجهون اللوم إلى (الجيل الجديد) الذي (لا يستمع إلى أحد ولا يحترم أحداً) وينسى هؤلاء أنَّ الإنسان يولد على الفطرة كما قال الرسول محمد (ص): "كُلَّ مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمحسانه"، والتربية هي التي ترسخ الفطرة السليمة عند الطفل أو تشوهاها. إنَّ الطفل لا يولد عنيداً أو كاذباً أو مُؤذياً أو كسولاً، كما أنَّه لا يولد مادقاً أو نشيطاً أو عطفواً أو مثابراً، وإنما هي صفات يكتسبها الطفل من خلال البيئة التي ينشأ فيها وأهم مكونات هذه البيئة هما الوالدان والطريقة التي يتعاملان بها مع الطفل. إنَّ العامل الأوَّل والأهم لنجاح الآباء في التأثير على أبنائهم هو أن يتحمل الآباء مسؤولية هذا النجاح ولا يلقونها على الأبناء. فالآب الذي يعتبر ابنه هو المسؤول عن كونه عنيداً سيكتفي بلوم ابنه وسيفقد القدرة على التأثير في سلوكه. أما الآب الذي يعتبر نفسه مسؤولاً عن كون ابنه عنيداً فسيحاول فهم ابنه بشكل أفضل وسيراجع طبيعة العلاقة مع ابنه وطريقة تعامله معه وسيطور ويبدل من تلك الطريقة حتى يصل إلى النتيجة التي يرجوها. بمقدار ما يتحمل الآباء المسؤولية عن سلوك أبنائهم ستتطور قدرتهم على التأثير في هذا السلوك وبمقدار ما يتخلون عن مسؤوليتهم ويكتفون بإلقاء اللوم على الأبناء سيفقدون قدرتهم على التأثير فيهم.

لذلك ربط الرسول (ص) بين نجاح الرعاية (سواء كانت رعاية الأب لابنه أو الأستاذ لطلابه أو المدير لموظفية أو الحاكم لشعبه) وتحمل المسؤولية فقال: "كُلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعيته".

حينما يتعامل الإنسان مع أمر يجهله يصيبه الشقاء والعنت فمثلاً إذا حاول إنسان قيادة السيارة وهو لا يعرف شيئاً عن مكان المكبح أو ناقل السرعة ستكون تلك التجربة كابوساً بالنسبة إليه، أما إذا انضم إلى دورة يتعلم من خلال مكونات السيارة وكيفية القيادة فستتحول قيادة السيارة من كابوس مرعب إلى تجربة ممتعة. إنَّ هذا الأمر ينطبق على أي عمل يقوم به الإنسان عن علم ودراية بما في ذلك تربية الأولاد. من الغريب أنَّ أحدنا لا يلتجأ إلى قيادة السيارة قبل أن يتعلَّم القيادة، ويأخذ شهادة تدل على كفاءته، في حين أنَّ الكثير من الرجال والنساء يقدمون على عمل أكثر وأدق بكثير من قيادة السيارة وهو الزواج وإنجاب الأولاد وتربيتهم دون أن يقرأوا كتاباً واحداً أو يحضروا محاضرة واحدة لها علاقة بال التربية !!

إنَّ كثيراً من الآباء والأمهات يحملون ممارسات تربوية خاطئة تعلموها من آبائهم وأمهاتهم ويطبقونها على أولادهم دون مراجعتها وعرضها على ميزان العلم والدين، وإنِّي أرجو أن تساهم المبادر

التالية في تحويل العملية التربوية من طريق شاق مليء بالعقبات إلى رحلة رائعة مليئة بالحب والتفاهم.

#### 1- لا تنتعطف طفلك بصفات سلبية:

إنّ "الصورة الذهنية التي يكوّنها الطفل عن نفسه تتشكل في السنوات الأولى من حياته من خلال الأوصاف التي يسمعها ممن حوله من الكبار وخصوصاً من والديه، فإذا ترددت على مسمعيه الصفات السلبية ستتحول هذه الصفات إلى هوية له وسيحملها معه طوال حياته، أما إذا وصفه والداه بالصفات الإيجابية فسيشجعه ذلك على اكتساب هذه الصفات، وسيحملها معه طوال حياته أيضاً فمثلاً إذا قصر الولد في دراسته وسمع والديه ويصفاه بأزاره كسول ويرددان هذا الوصف على مسمعيه صباح مساء ستصبح نظرته إلى نفسه سلبية (أنا كسول ولن أنتجه مهما فعلت) أما إذا أخبره والداه بأزاره قادر على التفوق، ويستطيع أن يبذل مزيداً من الجهد في الدراسة، فستصبح نظرته إلى نفسه إيجابية (أنا قادر على التفوق ولكن يجب أن أجتهد أكثر) وليس المقصود هنا أن يبالغ الآباء في مدح أولادهم وينعتونهم بصفات لا توجد فيهم، وإنما المقصود ألا يوجهوا نقدهم إلى ذات الطفل (أنت مؤذن - أنت كذلك) وإنما إلى التصرف الذي قام به الطفل (لقد تأذت أختك من هذا الفعل - أنت لم تخبرني الحقيقة عندما قلت كذلك) إنّ "توجيه النقد إلى الفعل الذي قام به الطفل بدلاً من توجيه النقد إلىه سيعطيه فرصة لكي يراجع تصرفاته، وسيمنحه ثقة بنفسه وبقدراته على الارتقاء وتحاوز سلبياته وأخطائه.

#### 2- علام طفلك تحمّل المسؤولية:

عندما يصطدم الطفل في مجتمعنا بالكرسي ويبكي نقوم بترضيته بضرب ذلك الكرسي، وكأنّه هو الذي صدمه!! إنّ "هذا التصرف اللامنطقى يعبر عن إحدى المشاكل الثقافية التي تعانى منها، وهي مشكلة عدم تحمّل المسؤولية وإلقاء اللوم على الآخر حتى لو كان الآخر كرسيًا جاماً لا يتحرك. إنّ "علاج هذه المشكلة يبدأً منذ الطفولة بأن نعلم الطفل كيف يتّحمّل مسؤولية مشاعره وتصرفاته. فإذا سمعناه مثلاً يقول: لقد دفعني صديقي إلى ضربه، يجب أن نعلمك كيف يقول: أنا غضبت من صديقي لأنّه شتمني وضربيه. وبعد أن نعلم الطفل تحمّل المسؤولية عن مشاعره وتصرفاته نستطيع أن نساعدك على اللجوء إلى خيارات أفضل.. ففي المثال السابق مثلاً يمكن أن نسأل الطفل: ماذا كان باستطاعتك أن تفعل عندما شتمك صديقك غير أن تضربه؟ قد يجيب الطفل: كان باستطاعتي أنأشتممه.. أو أن أسأله لماذا شتمتنى.. أو ألا أرد عليه.. أو أن أشكوه إلى والده.. وهنا نستطيع أن ندخل في حوار مع الطفل حول كلّ خيار من هذه الخيارات، وما هي سلبيات وإيجابياته؟ وأن نربط هذه الخيارات بالمبادئ والقيم التي نريد تنشئة الطفل عليها، إلى أن نصل إلى الخيار الأفضل، وهكذا سيتعلم الطفل أنّ "باستطاعته أن يختار ردود أفعاله وأن يتحكم في تصرفاته.

#### 3- اثنـ على طفلك عندما يقوم بعمل جيد:

اعتاد بعض الآباء على ذم أولادهم عندما يخطئون لكنّهم لا يوجهون لهم المدح والثناء عندما يحسنون شيئاً طنّاً منهم أنّ من واجب الآباء أن يقوموا بالأعمال الجيدة وأنّ عليهم أن يقوموا بها دون أن يتظروا مدحًا أو ثناء من أحد. إنّ من أكثر الأمور التي تشجع الطفل على القيام بالأعمال الجيدة هو الثناء عليه وإبداء الإعجاب بما يقوم به دون مبالغة في الإطراء.

#### 4- علام طفلك التفاؤل:

حدّث طفلك عن نجاحاتك في هذه الحياة وعن قصص نجاح الآخرين وعن الذين أخفقوا ثمّ نجحوا نتيجة لتفاؤلهم وثقتهم بأنفسهم. علام طفلك أنّ "الصبر والمثابرة والتفاؤل تزيل أكبر العقبات من وجه

الإنسان وتوصله إلى ما يريد من أهداف.

#### 5- علـم طفلك أنـ الفشل هو فرصة للتعلـم:

عندما يفشل البعض يبدؤون بندب حظهم أو جلد ذواهم، في حين يستفيد آخرون من فشلهم ويتخذون منه مهمازاً للنجاح. يجب أن نعلم أطفالنا ألا ينكروا أمام الفشل وأن يتذدوه فرصة للنمو والتعلـم فإذا دخل الطفل في منافسة رياضية وفشل في الفوز يجب أن نبيـن له كيف يستفيد من هذا الفشل في معرفة نقاط ضعفه وفي تطوير نفسه من أجل المنافسة القادمة..

#### 6- تعاطف مع طفلك وعلـمه التعاطف مع الآخرين:

التعاطف هو الاهتمام بمشاعر الآخرين وتفهمـم هذه المشاعر، فإذا وجدنا الطفل حزيناً لأنـ سmekته المفضلة مات يجب أن نحترم حزنه ونفسح له المجال ليتحدث عن مشاعره لا أن نقول له: "إـنـها مجرد سمكة وغداً سأجلب لك واحدة أخرى!".

عندما يرى الطفل والده وهو يتعاطف معه ومع والدته ومع إخوته سيتعلم بالقدوة التعاطف مع الناس، وسيكتسب مهارة الاهتمام بالآخرين ومراعاة مشاعرهم وستساعد هذه المهارة عندما يكبر على أن يكون شخصاً محبوباً وقيادياً ومؤثراً.

#### 7- اسأل طفلك عن رأـيه وعلـمه كيف يقول (لا) بأدب واحترام:

(ما رأـيك يا أـحمد فيما سنفعله هذه الليلة هل تفضل الذهاب إلى السوق أم زيارة عمـتك؟) عندما يـسأل الطفل عن رأـيه سيفكر ويحاور وسيبني ذلك قدرته على المحاكمة ويشعره بكـيانه واستقلاليته. يعتقد البعض أنـ التربية الصحيحة تقضي إـسـكات الطفل عندما يتـكلـمـ وأنـ الطفل المؤدب هو الطفل الذي لا يـعرضـ أبداً ولا يـسألـ ولا يـناقـشـ يجب أـلا نخلـطـ بين طلب الطاعة وكم الأـفـواـهـ يجب أنـ نمنـجـ أـطـفالـناـ حقـ إـبدـاءـ الرـأـيـ ولوـ كانـ مـخـالـفاـ لـرأـيـناـ، ماـ دـامـ ذـكـرـ يـتمـ فيـ حدـودـ الأـدـبـ وـالـلـيـاقـةـ إنــناـ نـغـرسـ فيـ مجـتمـعـناـ بـذـورـ الـاسـتـبـادـ وـالـإـلـغـاءـ لـآخرـ أوـ بـذـورـ التـسـامـحـ وـقـبـولـ الـآـخـرـ بـحـسـ الـطـرـيقـةـ التيـ نـعـاملـ بهاـ أـبـنـاءـ نـاـ!

الكاتب: د. ياسر العيتي

المصدر: كتاب الذكاء العاطفي في الأسرة